## المحاضرة الثانية:

### المبحث الثاني: الخلفية التاريخية للمجتمع الدولي

إن تحديد بداية المجتمع الدولي وظهوره في شكل منظم ليست عملية سهلة ودقيقة فهنالك من يرجع بداية ظهور المجتمع الدولي إلى 3000 سنة قبل الميلاد، والبعض إلى سنوات متأخرة، وكذلك الحال بالنسبة للمجتمع الدولي المعاصر، ونظرا لهذه الاختلافات كان لابد من تقسيم لمختلف المراحل التي صاحبت تطور المجتمع الدولي ومن خلاله القانون الدولي، مع مراعاة تسلسل العصور التاريخية المعروفة، بداية من مرحلتي العصور القديمة والوسطى ، ثم مرحلتي العصور الحديثة والمعاصرة.

### المطلب الأول: المجتمع الدولي خلال العصور القديمة

يرى أغلب المؤرخين أن مرحلة العصور القديمة تمتد من سنة 3100 ق م وإلى غاية 476 ق م، غير أن هذه الفترة لم تعرف وجود مجتمع دولي بالمعنى الدقيق، حيث غلب فيها تنظيم بسيط وبنوع من المحدودية، ويرجع الفقه ذلك لعدة أسباب، من أهمها:[1]

- العزلة النسبية التي كانت تعيش في ظلها الحضارات، التي قامت في هذه الفترة بسبب صعوبة المواصلات وجهل كل حضارة أحيانا بواقعة وبوجود الأخرى، مما أدى إلى قلة التبادل التجاري والثقافي والفكري، وقد أدى هذا الوضع الواقعي إلى غياب أحد العناصر الضرورية لقيام المجتمع، هو عنصر التجمع في علا قات دائمة.
- تخلف عنصري المصلحة المشتركة والتنظيم الملزم، إذ لم تربط أي من الحضارات القديمة مصلحة مشتركة تبرر ارتباطا دائما تنظمه قواعد ملزمة، ويرجع هذا الوضع لأن كل حضارة كانت ترى نفسها وحدها المتحضرة، ومن حقها أن تفعل بالحضارات الأخرى ما تشاء حينما تشاء.

وعلى الرغم مما سبق ذكره، فهذا لا يعني عدم وجود علاقات بين الشعوب القديمة تشكل على إثرها وجود بعض الحضارات وقيام علاقات قانونية بين هذه الحضارات كإبرام المعاهدات والتي لا تقل أهمية من حيث التنظيم والدقة عن المعاهدات المعاصرة كحضارة نذكر من ذلك".

#### أولا-حضارات الشرق القديم L'orient antique :

يقصد بالشرق القديم تلك الحضارات القديمة التي نشأت حول منطقة وادي الرافدين وحول وادي النيل، أين تأسست إمبراطوريتان عظيمتان خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، وهما الإمبراطورية البابلية والإمبراطورية الفرعونية.

ولقد نشأت بين تلك الحضارات القديمة علاقات قانونية تمثلت في إبرام العديد من المعاهدات فيما بينها، والتي تتضمن مواضيع مختلفة: علاقات تجارية، تحالفات عسكرية تعيين الحدود ...الخ.[2]

#### 1-حضارة ما بين النهرين:

ويطلق عليها كذلك اسم **حضارة بابل** أو حضارة ما بين النهرين، حيث كانت تتمركز دولة قوية ذات حضارة ونفوذ، وتحيط بها قبائل وشعوب تدين لها بالولاء، وأخرى تخضع لها بحكم القوة والحروب.

---

[1] عبد الرحمان لحرش، **المجتمع الدولي التطور والأشخاص**، الجزائر: دار العلوم ، 2007، ص ص 9، 10.

[2] أحمد بلقاسم، **الوجيز في قانون المجتمع الدولي المعاصر**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (ب،س.ن)، ص10.

حيث تشير الأبحاث التاريخية إلى أن حضارة بلاد الرافدين امتازت بوجود معاهدة في حدود 3100 ق.م أبرمت بين زعيمي قبيلتين من منطقة ما بين النهرين وهم **إيناتم** الحاكم المنتصر لدولة مدينة **لاجاش lagash** ، مع ممثلي شعب أوما **Umm** ،حيث نصت على وضع حد للنزاع القائم بينهما حول الحدود، كما نصت على فكرة التحكيم في حالة حدوث نزاع بينهما[1].

**2-الحضارة المصرية (الفرعونية)**:

لقد عرفت مصر الفرعونية علاقات دولية ودبلوماسية عديدة مع غيرها من دول العالم آنذاك، حيث أبرم الفراعنة عدة معاهدات مع ملوك وقادة الشعوب المجاورة لهم، وكانت إما معاهدة تبعية، أو تحالف أو حماية، ويمكن التدليل على ذلك بالمعاهدة التي أبرمت بين **الحيثيين**( دولة وسط أسيا) بزعامة **خاستير** والفرعون المصري **رمسيس الثاني** (**1279**ق.م) والتي حررت باللغة البابلية، لغة الدبلوماسية في ذلك العهد.[2]

وتتكون هذه المعاهدة من ديباجة و19 مادة وخاتمة، كما جاءت بمجموعة من المبادئ والأحكام أهمها إقامة تحالف بينهما، ضد العدوان الخارجي وإحلال السلام والصداقة بين الطرفين، وكذا مبدأ تسليم اللاجئين السياسيين لبلادهم شرط عدم توقيع عقاب عليهم، والضمان دائما هو القسم بالآلهة بعدم الخروج عنها[3].

**3-الحضارة الصينية:**

تشير بعض الوثائق التاريخية إلى أن الصين القديمة عرفت بعض القواعد المنظمة لمراسيم استقبال الحكام والسفراء الذين يقدمون إلى الصين من بلاد أجنبية.

هذا، وبحث الفيلسوف **"كونفوشيوس"** (551 ق م-479 ق م) فكرة اتحاد الشعوب و نادى بإنشاء منظمة دولية **شبه منظمة الأمم المتحدة**، حيث تبعث إليها الدول مندوبين يمثلونها، وتختارهم من بين أكثر المواطنين فضيلة وأكثرهم كفاءة.[4]

وقد استند في ذلك الى فكره الفلسفي معتقدا ان النية الاساسية المشتركة بين الجميع تتطلب استنادا للمصلحة العامة الاجتماعية ان تكون تصرفات الانسان تتماشى مع نظام الطبيعة.[5]

كما عرفت الصين علاقات مع روما البعيدة، وكذا نظام التمثيل الدبلوماسي، ونجد في الفلسفة الصينية القديمة ما يعطي الحق في حكم العالم، لابن الجنة وهو الحاكم الصيني العادل الحكيم.[6]

---

[1] *Patrick DAILLIER, Mathias FORTEAU, Alain PELLET,* ***Droit international public****, LGDJ, Point Delta, 2009, p. 5*

[2] تونسي بن عامر، **قانون المجتمع الدولي المعاصر**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1989، ص 10.

[3] عثمان بقنيش ، **قانون المجتمع الدولي المعاصر**، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 2012، ص 12.

[4] عبد الحليم مرزوقي، محاضرات في المجتمع الدولي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة ،2012-2013، ص6.

[5] *Patrick DAILLIER, Mathias FORTEAU, Alain PELLET, Op.cit, pp. .53*

[6] مبروك عصبان، **المجتمع الدولي، الأصول والتطور والأشخاص**، الجزء الأول، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص33.

**4-الحضارة الهندية:**

لم تخل من أشكال التعاون، ولكن بالطرق السلمية انطلاقا من شريعة **"مانو Manu"** الهندي (1000 ق م)، وقد بحثت قوانين **مانو** في عدة جوانب، مما يسمى اليوم قانون الحرب والقانون الإنساني والقانون الدبلوماسي ...وجميعها جوانب يبحث فيها القانون الدولي المعاصر[1].

ففي قانون الحرب والقانون الإنساني أمر **مانو** بعدم إتلاف المحاصيل الزراعية وقطع الأشجار، كما أوجب على المحارب الشريف ألا يقتل عدوا استسلم ، ولا أسير حرب، ولا عدوا نائما أو عاريا أو أعزلا، أو كان معذورا أو هاربا، وشخصا مسالما غير محارب ولا عدوا مشتبكا مع خصم آخر.[2]

أما في المجال الدبلوماسي يرى **مانو** أن الفن الدبلوماسي يتمثل في المهارة في تجنب الحرب، وتدعيم السلم، ومن يرفع يده في وجه سفير دولة أخرى يتعرض للهلاك و الإبادة لأن السفير محمي من الآلهة.[3]

**ثانيا- حضارات الغرب القديم:**

يرتبط الحديث عن هذا الغرب بكل من الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية.

**1-الحضارة الإغريقية ( اليونانية):**

لقد عرف العهد الإغريقي هو الآخر ظهور بعض القواعد التي تطبق في السلم وتطبق في الحرب، حيث عرف اليونانيون التحكيم لحسم الخلافات التي تقوم بين المدن اليونانية، كما عرفوا القواعد التنظيمية مثل قواعد الحرب والتي منها وجوب إعلان الحرب قبل الدخول فيها، قاعدة تبادل الأسرى واحترام اللاجئين، وحماية الأجنبي وأمواله وحريته التجارية، غير أن هذه القواعد كانت خاصة بالمدن اليونانية فقط[4].

كما عرف اليونانيون **"فكرة الحرب العادلة"** لأنه كما قال أرسطو: "لايجوز لمدينة يونانية أن تمارس سياسة الغزو، والفتح ضد مدينة يونانية أخرى، وذلك لأن اليونانيون أحرارا في الطبيعة، ولكن في علاقاته مع الشعوب الأخرى فإن اليونان يمكن أن تشن حروبا وفتوحات انطلاقا من تفوقها البشري.[5]

وفي ضوء هذا النظر، عامل اليونانيون الأجانب معاملة الأشياء، واعتبروا الشعوب الأخرى مجرد **برابرة** أي **"شعوب غير متحضرة"**، ليس لهم حقوق الإنسان الكريم، حيث أكدوا أن الفارق بين اليوناني والبربري هو الفارق بين الإنسان والحيوان، و أن سمو اليوناني يكفل له اكتساب الحقوق، ويحقق له السيطرة على البرابرة الذين يخضعون له خضوع العبيد للأحرار.[6]

وعلى ما يبدو كان للعلاقات الدولية في عهد الإغريق وجهان، أحدهما خاص بعلاقة المدن اليونانية فيما بينها، والآخر خاص بعلاقة هذه المدن بالشعوب غير اليونانية.[7]

---

[1] تونسي عامر، المرجع السابق، ص ص 10، 11.

[2] عثمان بقنيش، المرجع السابق، ص 13.

[3] عبد الحليم مرزوقي، المرجع السابق، ص 7.

[4] أحمد محمد رفعت، القانون الدولي العام، القاهرة: مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 1999، ص ص 35، 36.

[5] مبروك غضبان، المرجع السابق، ص 34

[6] عبد الكريم علوان، **الوسيط في القانون الدولي العام**، ج1، الأردن: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997، ص 58.

[7] أحمد محمد رفعت، المرجع السابق، ص ص 36.

**2-الحضارة الرومانية:**

فبدورهم اقتبسوا الكثير من المبادئ التي طورها اليونانييون، وأضافوا لها مما شكل مع مرور الزمن فلسفة رومانية تختلف إلى حد ما عن الفلسفة الإغريقية، فقد أقرت مبدأ السيادة، و أن الشعب هو صاحب السلطة والإمبراطور مجرد وكيل للشعب، وهو مسؤول أمامه.[1]

ولقد امتاز الرومان بعبقريتهم القانونية، فالي جانب القانون المدني الروماني**Civile Jus** الذي كان يقتصر تطبيقه على الرومان دون غيرهم، ظهرت في روما مجموعة أخرى من القواعد القانونية لحكم العلاقات بين الرعايا الرومان ورعايا الشعوب التابعة للإمبراطورية الرومانية، أو تلك التي ترتبط بها بمعاهدات تحالف أو صداقة، أو ضيافة، سميت بقانون الشعوب **Gentium Jus**، وكانت قواعد هذا القانون تنظم العلاقات بين أفراد الشعب الروماني وأفراد الشعوب الأخرى، ونظم الدبلوماسية بين هذه الشعوب[2].

وعموما فإن العلاقات الدولية الدبلوماسية عند الرومان مرت بمرحلتين هما[3]:

-**المرحلة الأولى**: كان يتميز فيها الرومانيون بالقوة، حيث لم تكن هناك علاقات دبلوماسية سائدة ولم يكن لهذه الدبلوماسية وجود بين الرومان والدول الأخرى، حيث لم تكن في حاجة إليها لأنها كانت تحقق ما تريد عن طريق القوة والقهر وإسقاط كل ما تراه أمامها.

-**المرحلة الثانية:** وهي المرحلة التي بدأ اهتمام الرومانيون فيها بالدبلوماسية كوسيلة للاتصال والتشاور وإقامة العلاقات بينها وبين غيرها من الدول، خصوصا مع نزول مؤشر قوة الدولة الرومانية وضعفها، نتيجة استقلال بعض الممالك عنها والتمرد والعصيان الذي طالها، فضلا عن ظهور الإسلام كقوة جدية بما يجمل من مبادئ وقيم عالية.

إجمالا، فإن أهم ما كان يميز العلاقات الدبلوماسية عند الرومان ما يلي:

- اهتمام بالشكل قبل الموضوع في إبرام المعاهدات الدولية.
- كان يدير العلاقات الخارجية مجلس الشيوخ، ثم أصبحت بعد ذلك للأباطرة ولكن بعد استشارة هذا المجلس.
- السفير الروماني مطالب عند عودته بتقديم تقرير خاص عن مهمته إلى مجلس الشيوخ.
- إن قبول السفراء الأجانب وسماع طلباتهم، أو رفض ذلك إنما هو من صلاحية مجلس الشيوخ، وفق مراسيم استقبال خاصة.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن شعوب العصور القديمة لم ترق إلى درجة تشكيل مجتمع دولي بالمعنى الدقيق، ورغم وجود حضارات قديمة، إلا أن العلاقات التي كانت قائمة بين هذه الحضارات كانت علاقات عارضة تتسم بطابع الإنعزالية ويغلب عليها منطق الحرب والعداء.[4]

إلا أن هناك عناصر مشتركة بين هذه المجتمعات يمكن إجمالها في[5]:

- وجود كيانات ووحدات سياسية متميزة بشخصية مستقلة ومعترف بها.

---

[1] مبروك غضبان، المرجع السابق، ص ص 35، 36.

[2] أحمد محمد رفعت ،المرجع السابق، ص 37.

[3] مبروك جنيدي، محاضرات في قانون المجتمع الدولي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مسيلة، 2020-2021، ص11.

[4] عبد الحليم مرزوقي، المرجع السابق، ص 9.

[5] عبد الرحمان لحرش، المرجع السابق، ص 10.

- وجود علاقات دولية قانونية قائمة بين الوحدات السياسية تتضمن حقوقا ووجبات متبادلة.
- الاعتراف بإمكانية تمثيل هذه الكيانات والوحدات السياسية لدى بعضها البعض من طرف ممثلين دائمين أو مؤقتين.
- وجود معاهدات بين بعض الكيانات السياسية، مع الاعتقاد السائد في كل هذه المجتمعات بأن التعهدات تعتبر ملزمة للأطراف.